الفصل الرابع
عوامل ومظاهر التنشئة الاجتماعية

مقدمة

أولا: عوامل التنشئة الاجتماعية

ثانيا: مظاهر التنشئة الاجتماعية

ثالثا: عمليات التنشئة الاجتماعية

رابعا: إشكاليات التنشئة الاجتماعية

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الرابع
عوامل ومظاهر التنشئة الاجتماعية

مقدمة :

أن التنشئة الاجتماعية هى تفاعل في شكل قواعد التربية والتعليم يتلقاها الفرد في مراحل عمره المختلفة منذ الطفولة، حتى الشيخوخة من خلال علاقته بالجماعات الأولية (الأسرة – المدرسة – الجيرة – الزملاء) ومقارنة تلك القواعد والخبرات اليومية التى يتلقاها في تحقيق التوافق الإجتماعى مع البناء الثقافى المحيط به من خلال اكتساب المعايير الاجتماعية وتشرب الاتجاهات والقيم السائدة حوله.

كما تساهم عملية التنشئة الاجتماعية في التوفيق بين دوافع الفرد ورغباته ومطالبه واهتمامات الآخرين المحيطين به، وبذلك يتحول الفرد من طفل متمركز على ذاته ومعتمد على غيره هدفه اشباع حاجاته الأولية إلى فرد ناضج يتحمل المسئولية الاجتماعية ويدركها ويلتزم بالقيم والمعايير الاجتماعية السائدة فيضبط انفعالاته في إشباع حاجاته وينشئ علاقات اجتماعية سليمة مع غيره.

وبذلك ينظر إلى عملية التنشئة الاجتماعية على أنها تلك العملية التى يتحول الفرد خلالها من طفل يعتمد على غيره متمركز حول ذاته، لا يهدف في حياته إلا إلى إشباع حاجاته الفسيولوجية، طفل لا يستطيع إرجاء إشباع حاجاته حين يشعر بالدافع إلى الإشباع، إلى فرد ناضج يدرك معنى المسئولية وكيف يتحملها ويعرف معنى الفردية والاستقلال، يسلك معتمدا على ذاته اعتمادا نسبيا، فرد لا يخضع في سلوكه إلى حاجاته الفسيولوجية، فرد يستطيع أن يضبط انفعالاته ويتحكم في إشباع حاجاته، فيشبع ما يسمح له المجتمع بإشباعه، ويرجئ إشباع تلك الحاجات التى يقضى الموقف إرجاءها، ويقمع تلك

الحاجات التى يرفض المجتمع إشباعها ويدرك قيم المجتمع ومعاييره على المستوى المعرفى والانفعالى، فيلتزم بها فرد يستطيع أن ينشئ العلاقات الاجتماعية المشبعة مع غيره فيستمتع ويتمتع بها الغير.

أولا: عوامل التنشئة الاجتماعية:

يعتبر التعليم عاملا من عوامل التنشئة الاجتماعية، ولكن التنشئة الاجتماعية أشمل وأعم من التعليم المنظم الذى يركز على جانب المعلومات والمعرفة، إنها النمو الجسمى والعقلى والاجتماعى والانفعالى الناتج عن التعامل مع المجتمع الذى يعيش فيه الطفل أو الطفلة، وبما أن التعامل الاجتماعى ليس واحدا بالنسبة للطفلة والطفل فإنهما ينشآن نشأة اجتماعية مختلفة، وقد يكون هذا الاختلاف قليلا أو أكثر، حسب التفرقة في المعاملة الاجتماعية بين الأنثى والذكر والطفلة كالطفل تماما تنمو وتتطور ابتداء من يوم ولادتها بل قبل الولادة، وهى تنمو بجسمها وبفكرها وبوعيها وإدراكها بتأثير من البيئة المادية والاجتماعية والقيمية المحيطة بها.

وتسعى منذ أشهرها الأولى إلى تطوير مهاراتها الجسمية من حركة ومشى وقدرة على تناول الأشياء وتفحصها ولمسها وتذوقها والاستماع إليها وشمها وبقدر ما يتاح لها في هذا المجال تنمو وتتطور جسميا، وتتفتح قدرتها الفكرية من تذكر، واستيعاب للمفاهيم وفهم للكلمة والقدرة على التعبير اللغوى، وإدراك للعلاقات والتفاعلات والقيم من حولها، وتنمو هذه القدرات الفكرية حسب كمية ونوعية المفاهيم المتاحة لها وحسب نوعية العلاقات والتفاعلات والقيم المحيطة بها.

ومع هذا التطور الجسمى والفكرى المتاح لها ينشط عقل ووجدان الطفلة فتستوعب وعلى مراحل تتناسب مع نموها البيئة المادية والإنسانية

والاجتماعية المحيطة بها، تستوعبها في ذاتيتها وتمثلها تدريجيا، وما أن تبلغ الطفلة سن النضج حتى تصبح بجسمها وفكرها ووجدانها جزءا منها.

هذا الاستيعاب والتماثل مع المجتمع بما فيه من أشياء وتصنيفات اجتماعية وعلاقات بين الناس وبعضها وبين الناس وما حولها من أشياء، هو النشأة الاجتماعية للطفلة الأنثى، والطفل الذكر ينشأ اجتماعيا بنفس الطريقة، ولكنه في مجتمعنا يتعرض لمؤثرات تنموية تختلف عن المؤثرات التنموية التى تتعرض لها الطفلة الأنثى فهو يتعرض لبيئة مادية تنموية في الأسرة وخارجها، بعيدة المنال عن الطفلة في كثير من الأحيان، وهو يتعرف على الناس والعلاقات والتصنيفات الاجتماعية من منظور مختلف عن المنظور الذى يسمح للطفلة بأن تتعرف عليه والواقع أنه يتعرض لمجالات من المثيرات والمواقف والخبرات وفرص الاستطلاع والتجربة بأوسع مما يتاح للبنت، وهكذا فإن الاختلاف في التنشئة يكون كبير جدا في بعض الأحيان.

ويفترض المفهوم التقليدى لمعنى التنشئة الاجتماعية بأنها تتم من خلال مؤسسات وآليات للتنشئة ثابتة، وأفرزها المجتمع على مراحل الأجيال ، ويهدف إلى الحفاظ على التقاليد والقيم التى تعود عليها هذا المجتمع والتى يرى فيها الأمان لنفسه ولذريته، إلا أن المفهوم التنموى الحديث للتنشئة الاجتماعية يرى:

١- أن مؤسسات وآليات التنشئة الاجتماعية التقليدية، بما فيها الأسرة وقوانينها وتقاليدها يجب أن تتطور بحيث تصبح قادرة على إحداث تنمية فعلية للفرد عامة وللطفلة خاصة حتى تستطيع النمو إلى أقصى درجاته.

٢- أن الأمان الذى يريده المجتمع المصرى النامى لنفسه ولذريته لن يكون إلا بمراجعة العادات والتقاليد المتبعة في التنشئة حاليا القديم منها والحديث نسبيا، والتخلص من كل ما من شأنه إعاقة التنمية البشرية لكل من الجنسين، مع خصوصية أوضاع المرأة، وكذلك باستعادة بعض القيم

التنموية السامية التى نادت بها الأديان السماوية وحث الإسلام عليها تأكيدا لحق المساواة بين الجنسين الذين خلقهما الله من نفس واحدة، وجعل منها ذكورا وإناثا.

وهناك عوامل مؤثرة على نمو الفرد وتنشئته إلا أنها غير اجتماعية وتؤثر وتمهد للعوامل الاجتماعية في عملية التنشئة ومن أبرز تلك العوامل البيئة والوراثة والجهاز الغددى وفى الجسم.

أولا : العوامل الوراثية

تمثل الوراثة أحد العوامل غير الاجتماعية الهامة المؤثرة في النمو من حيث مظاهرة ونوعه ونضجه أو قصوره، والوراثة تنتقل للفرد من الآباء والأجداد عن طرق الجينات الموروثة، التى تحملها الصبغيات أو الكروموسومات التى يحملها الزيجوب (البويضة الخصبة) وتتأثر المورثات (الجينات) بالبيئة التى تحيا فيه الخلية ويتفاعلها مع المواد داخل الخلية، وقد يؤدى ذلك إلى حدوث تغيرات بها مما يؤدى إلى ظهور طفرة معينة، وقد تنتقل صفة متنحية كانت مختفية في الآباء وغير ظاهرة عليهم إلى الأبناء، وبالتالى تظهر صفات جديدة للطفل لا توجد في الآباء، كلون العيون وعمى الألوان ولون الشعر وغيرها.

وتعرف الوراثة بأنها هى انتقال السمات من الوالدين إلى أولادهم وبمعنى آخر كل ما يأخذه الفرد عن والديه يحدث ذلك عن طريق الجينات التى تحملها الكروموسومات ويتألف الكائن الحى من نوعين من الخلايا وهما كالتالى:

أ- الخلايا الجسمية وتشكل الجسم والجلد والقلب والكلى.

ب- الخلايا الجرثومية وهى عند الذكر الخلايا المنوية وعند الأنثى البويضات وهى أقل عدد من الخلايا الجسمية.

أهم أدوار الوراثة:

١- وراثة الخصائص البنائية

الوراثة هى انتقال الخصائص من الآباء إلى الأبناء حتى تؤكد على أن تكون الأبناء من نوع الآباء.

٢- وراثة الجنس:

يسمى الزوج الثالث والعشرين في كل خلية إنسانية عادة بكروموسوم الجنس وهو يحمل عدد من الشفرات الوراثية التى تحدد جنس المولود ذكر أم أنثى.

ويتكون الزوج الثالث والعشرين عند الرجل من كروموسومين أحدهما كروموسوم X والثانى y بينما يتكون عند الأنثى هذا الزوج من كروموسوكين متشابهين من نوع X فإذا التقى حيوان منوى ذكرى y مع بويضة X يكون المولود ذكرا.

- وإذا التقى حيوان منوى ذكرى X مع بويضة X أنثوية يكون المولود أنثى.

٣- الوراثة تحدد السقف الأقصى للسمة:

في الوقت الذى تحدد فيه الوراثة السقف للسمة عند الفرد فإن البيئة هى التى تقرر المدى الذى سيتحقق من هذه السمة، مثال إذا ورث فرد عن والديه سمة الطول فإن هذه السمة لا تتحقق في حدها الأقصى عند البلوغ ما لم توفر البيئة لهذا الفرد إمكانيات النمو المتوازن.

٤- التحكم في جنس المولود:

أشارت نتائج الأبحاث في الهندسة الوراثية أنه أصبح بالإمكان التحكم في جنس المولود من خلال التحكم في الكروموسومات المسؤولة عن تحديد الجنس.

ثانيا العوامل البيولوجية

يقصد بالعوامل البيولوجية وظائف الأجهزة الجسمية (الجهاز الغددى والجهاز العصبى وعامل النضج).

١- الجهاز الغددى

للغدد أهمية كبيرة في تنظيم وظائف الجسم بسبب إفرازها للهرمونات التى تؤثر تأثيرا خطيرا على نمو الفرد، والتوازن في إفراز الغدد يؤدى إلى التوازن العام في سلوك وشخصية الإنسان وفى نفس الوقت، فإن أى خلل في إفرازات تلك الغدد يؤدى إلى كثير من مظاهر الخلل والقصور في سلوكه.

ويختص هذا الجهاز بوظائف التمثيل الغذائى المختلفة للجسم.

وتقسم الغدد إلى قسمين غدد قنوية مثل الدمعية واللعابية والعرقية وتصب إفرازاتها بواسطة قنوات داخل الجسم أو خارجه، وغدد لا قنوية تصب إفرازاتها بالدم مباشرة بدون قنوات مثل الغدد الصماء كالغدد النخامية والدرقية والصنوبرية.

ومن أهم الغدد في جسم الإنسان:

أ- الغدد النخامية:

وتسمى سيدة الغدد لأنها تسيطر على نشاط كافة الغدد في جسم الإنسان تفرز هرمون النمو ونقصه في مرحلة الطفولة يؤدى إلى القزامة عند الطفل وزيادة إفراز هذه الغدة يؤدى إلى ما يسمى بالعملقة.

ب- الغدة الدرقية:

تقع الغدة الدرقية في قاعدة العنق تحت الحنجرة مباشرة وتفرز هرمون الثيروكسين ونقص إفرازها في الطفولة يصيب الطفل بالقزامة ويصاب بالعته والتشوه أما نقص إفرازها في مرحلة الرشد فيؤدى إلى بطء ضربات القلب

وهبوط في معدل البناء الجسمي وتضخم اليدين والوجه والخمول، جفاف الجلد وخشونته وضعف القدرة على التركيز، ويمكن علاج المريض بواسطة حقنه بخلاصة الغدة الدرقية.

أما زيادة إفراز هذه الغدة فيؤدى إلى الإصابة بمرض أعراضه تورم أسفل الرقبة وجحوظ العينين، وسرعات ضربات القلب، وزيادة نشاط الفرد، وزيادة قلق الفرد وتوتره وعدم حساسيته للبرد، وقد يتطلب الأمر إجراء عملية جراحية لاستئصال هذه الغدة.

جـ- الغدتان الأدريرينياليتان

تقفان هذه الغدتان فوق الكليتين وتشبهان عرف الديك وتتكون كل غدة من جزئين هى الطبقة الخارجية ثم اللباب وتفرز الطبقة الخارجية عدد من الهرمونات وتؤدى زيادة إفرازاتها إلى زيادة السمات الذكرية وفى حدوث هذا عند المرأة فإنها تفقد صفة الأنوثة.

أما الجزء الثانى وهو اللباب فيفرز هرمون الأدرينالين وتتصل هذه الغدة بالجهاز العصبى السمبثاوى الذى يسيطر على الانفعالات.

د- الغدة الجنسية

وتقوم هذه الغدة بدور الغدد الصماء والغدد القنوية في نفس الوقت فهى تفرز خلايا التناسل من جهة ومن جهة أخرى تفرز الهرمونات التى تساعد الأعضاء التناسلية على النمو.

هـ- غدد البنكرياس

تعمل هذه الغدة كغدة صماء وغدة قنوية في نفس الوقت وهى كغدة صماء تفرز هرمون الأنسولين الذى يؤدى إلى النقص فيه إلى الإصابة بمرض السكر أما الزيادة المفرطة في إنتاج الأنسولين في الدم فيؤدى إلى احتراق السكر في الدم مما يؤدى إلى أضطراب الجهاز العصبى المركزى.

و- الغدة الجاردرقيه

عددها أربعة تقع بجوار الغدد الدرقية، وتعرف باسم جارات الدرقية وتؤثر الهرمونات التى تفرزها في بناء مادة الكالسيوم في الجسم وتؤثر في الجهاز العصبى المركزى فتمنع تهيجه الشديد.

٣- الجهاز العصبى

ترتبط جميع أجزاء الجهاز العصبى بعضها ببعض وينقسم الجهاز العصبى إلى :

أ- الجهاز العصبى المركزى

ويشتمل هذا الجهاز على جميع الأعصاب الموجودة في الدماغ والحبل الشوكى ويحتوى غالبية الخلايا العصبية للجسد.

ويتكون الجهاز العصبى المركزى من الدماغ وهو مركز التحكم في السلوك والحبل الشوكى الذى هو مركز بعض الانعكاسات العصبية للجسم مثل ارتكاس الركبة.

إن الخلايا العصبية التى تصل الجسم والأطراف بالدماغ والتى تنقل الرسائل العصبية من وإلى الدماغ تتجمع مع بعضها البعض في الحبل الشوكى ويجمعها العمود الفقرى للإنسان.

ب- الجهاز العصبى الفرعى (السطحى)

وينقسم هذا الجهاز إلى قسمين وهما:

أ- الجهاز العصبى الجسمى وهو الذى تحمل أعصابه الرسائل من المستقبلات الحسية وإليها إلى العضلات وسطح الجلد.

ب- الجهاز العصبى الذاتى، وهو المستقبل الذى تصل أعصابه إلى الأجزاء الداخلية لتنظيم عمليات الجسد مثل ضربات القلب والتنفس وغيرها وهو قسمان:

أ- الجهاز السمبثاوى ويؤدى دورا في استثارة العضوية وعندما يعمل هذا الجهاز في حالات مثل الكروالفر فإنه يقوم بعدة أعمال معا فهو يستثير العدد فوق الكلية والبنكرياس، كما أنه يعمل على تغيير حجم الأوعية الدموية فهو يسرع ضربات القلب ويوسع بؤرة العين ويبطئ نشاط الغدد اللعابية وغيرها.

ب- الجهاز البارسمبثاوى (نظرية السمبثاوى) ويكون نشطا وفعالا في المواقف التى يكون فيها الإنسان معرضا للخطر ولكنه قادر على الاسترضاء ويعمل على تقلص بؤرة العين واستثارة الغدد اللعابية وخفض ضغط الإنسان وغيرها من الوظائف.

٣- النضج:

هو سلسلة من التغيرات البيولوجية المنتظمة المبرمجة وراثيا تحدث بمعزل عن المؤثرات الخارجية وقد دلت النتائج على أن هناك ارتباط بين النضج في الجسم والقدرة على أداء الوظيفة مثلا لا يتوقع أن يكون الإنسان قادرا على المشى قبل أن تنضج عضلات ساقيه وهكذا.

وبذلك يتضح دور النضج في النمو يتمثل في مدى الارتباط بينه وبين أداء الوظائف.

ثالثا: العوامل البيئية

البيئة هى جميع العوامل الخارجية المؤثرة على الفرد سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة منذ حدوث إخصاب البويضة في الأنثى، وبالتالى فهى تمثل العوامل الاجتماعية والمادية والثقافية والحضارية المحيطة بالفرد، وللبيئة تأثيرات هائلة على الفرد وعن تشكيل سلوكه وشخصيته ونموها، فالبيئة الاجتماعية التى يعيش فيها الطفل تشكله اجتماعيا وتكسبه سمات وأنماط سلوكية خاصة به من خلال التفاعل الاجتماعى مع غيره من الناس.

ومن ثم لا نستطيع فصل التأثيرات الهامة لكل من الوراثة والبيئة على شخصيته وسلوك الفرد، فثمة تداخل بين تأثيرات كل منهم فلو تربى طفل عبقرى مثلا في بيئة تربوية جاهلة ولم تتح له فرصة التعليم، فسينمو هذا الطفل حتما جاهلا للقراءة والكتابة ومن ثم يضعف دورا اجتماعيا.

وأن العوامل البيئية هى النتاج الكلى لجميع المؤثرات الخارجية التى تؤثر على الفرد من بداية الحمل حتى الوفاة وتتعدد العوامل البيئية المؤثرة على الفرد مثل العوامل الجغرافية والاجتماعية والثقافية والتربوية والاقتصادية والبيئية هى التى تحول الإنسان من إمكانية إلى واقع، وتحول استعداداته إلى قدرات فعلية مؤثرة فهى تؤثر في جسم الإنسان وعقله وتشير كثير من الدراسات إلى إمكانيات تأثير البيئة في التكوينات الجسمية.

وتعتبر البيئة من العوامل الرئيسية التى تلعب دورا هاما في تحديد مسار النمو الإنسانى وتتنوع البيئات التى يحدث فيها النمو وأولها البيئة الرحمية وثانيها البيئة الأسرية وثالثها البيئة المدرسية ورابعها البيئة الاجتماعية.

ثانيا: مظاهر التنشئة الاجتماعية

كان علماء النفس الاجتماعى حتى الستينات من هذا القرن يقحمون مفاهيم مختلفة ومتعددة على مظاهر التنشئة الاجتماعية وقد تعرض أغلب تلك المفاهيم وما تعتمد عليه من نظريات إلى النقد العلمى القائم على البحث التجريبى، ولم يقف الناقدون موقفا سلبيا من تلك المفاهيم بل صاغوا بدائلها العلمية الصحيحة، ومثال ذلك مفهوم التبعية الذى بدأ يختفى من الدراسات المعاصرة ليفسح المجال لمفهوم التعلق، ويرجع ذلك إلى بولبى Bomlby وشافر Schaffer وانزورس Ainsworth وغيرهم من الذين عكفوا على الدراسات

الميدانية وتسجيل الملاحظات العلمية الدقيقة وتتبعوا مظاهر التنشئة الاجتماعية خلال مراحل النمو المختلفة.

- التعلق

يعتبر التعلق من أهم مظاهر التنشئة الاجتماعية ويعرف بأنه يسعى للتقرب من شخص آخر والميل للمحافظة على هذا الجواز عندما يتحقق ويتعلق الطفل بأمه ليتقى بذلك المخاطر، وليحصل على الطمأنينة التى يحتاجها والأمن الذى يرجوه وكما يتعلق الطفل الإنسانى بأمه تتعلق .

وكما يتعلق الطفل الإنسانى بأمه تتعلق أيضا صغار الرئيسيات أو الثدييات العليا بأمها ، وتختلف تعلقها عن تعلق الإنسان في أنه يبدأ مبكرا جدا في حياة تلك الصغار التى تتبع أمهاتها.

ويدل التعلق على علاقات اجتماعية متبادلة بين الطفل وأمه في بدء حياة الطفل، وكما يتعلق الطفل بأمه تتعلق الأم أيضا بطفلها، كما يسعى لجوارها تسعى هى لجواره، أى أن العلاقة بينهما علاقة متبادلة، وينطوى التبادل على تفاعل وديناميه، ثم يتطور التعلق وتتسع آفاقه خلال مراحل الحياة ويصبح في كثير من نواحيه الدعامة الأولى لكثير من مظاهر الجماعة الصغيرة، ومثال التماسك الجماعى، وأغلب ما تسفر عن ديناميات التفاعل الجماعى، من أجل هذا أصبح التعلق من أهم مظاهر التنشئة الاجتماعية.

أنماط التعلق

فقد قامت انزورس Ainsworth ١٩٦٧ بدراسة ميدانية لعينة من الأطفال الأوغنديين منذ ولادتهم حتى بلغ عمرهم خمسة عشر شهرا، وكانت الباحثة تزور العائلات التى اختارتها لبحثها كل أسبوعين، وأعدت قوائم الملاحظة لتسجيل المظاهر المختلفة للتعلق وانهت الباحثة بعد تسجيلها لملاحظتها ومقابلاتها إلى تحديد ستة عشر نمطا للتعلق تتمثل في الآتى:

١- الصراخ الفراق – يصيح الطفل عندما يحمله شخص آخر غير أمه ويكف عن صياحه عندما تحمله أمه.

٢- الابتسام الفارق – يبتسم الطفل لأمه في تفاعله معها أسرع وأكثر مما يبتسم للآخرين في تفاعله معهم.

٣- المناغاة الفارقة – يناغى الطفل أمه في تفاعله معها أسرع وأكثر مما يناغى الآخرين في تفاعله معهم.

٤- التوجيه البصرى الحركى – عندما يبتعد الطفل عن أمه ويبقى في مكان يمكن أن يراها منه فإنه يتجه ببصره باستمرار نحوها.

٥- استجابات الترحيب – عندما تعود الأم بعد غيابها فإن الطفل يبتسم مرحبا بها في نشوة.

٦- رفع الذراعين للترحيب، يرفع الطفل ذراعيه تجاه أمه مرحبا بها بعد عودتها من غيابها.

٧- التصفيق باليدين للترحيب قد يصفق الطفل بيديه بدل أن يرفع ذراعيه.

٨- الصراخ عند رحيل الأم – يصرخ الطفل في احتياج عندما ترحل الأم من مجاله البصرى.

٩- التسلق على الأم – يتسلق الطفل على أمه ويحافظ على التصاقه بها وهو يتسلقها ليكتشف خصائص جسمها وملابسها.

١٠- الاتباع عندما يستطيع أن يزحف فإنه لا يصرخ فقط عندما ترحل أمه عنه بل يحاول أن يتبعها.

١١- إخفاء الوجه في حجر الأم، يخفى الطفل وجهه في حجر أمه وهو يلتصق بها متسلقا أو عندما يعود إليها من مكان قريب أو بعيد.

١٢- الالتصاق – عندما يجد الطفل نفسه بين ذراعى أمه فإنه يلتصق بها في شدة عندما تنظر إليه وتدلله.

١٣- التحرك للاقتراب ، عندما يستطيع الطفل أن يزحف فإنه يصل بترحيبه بها إلى نهايته وذلك بإسراعه نحوها زاحفا ليلقاها.

١٤- الاحتضان والتقبيل – يقابل الطفل ترحيب الكبار به باحتضانهم وتقبيلهم.

١٥- اكتشاف البيئة من قاعدة الأم الآمنة، عندما يستطيع الطفل أن يزحف فإنه ينطلق ليكتشف ما حوله ثم يعود إلى أمه بين الحين والآخر.

١٦- الهروب إلى الأم طلبا للأمن والنجاة ، عندما يتعرض الطفل لما يثير في نفسه الخوف فإنه يسرع إلى أمه.

هذا وبالرغم من اختلاف مسالك هذه الأنماط وتعددها إلا أنه جميعا تهدف إلى غاية واحدة هى تحقيق الحوار على أنه أهم وظائف التعلق وهذا يعنى أن التعلق قد يتخذ أى صورة من الصور السابقة وقد يجاوزها إلى صور أخرى جديدة لتحقيق الجوار.

– مراحل التعلق

يميز الطفل منذ بدأ حياته بين المثيرات البيئية المختلفة المحيطة به، ويعد هذا النوع من التمييز الأساسى الأول لتطور التعلق خلال مراحله المتتابعة ويستجيب الطفل بصفة خاصة للمثيرات التى تصدر عن الأفراد الآخرين أكثر من يستجيب للمثيرات التى تصدر عن الأشياء الأخرى فيستجيب مثلا للمثيرات السمعية التى تصدر عن أقوال وأصوات الأفراد الآخرين ، ويستجيب للمثيرات البصرية التى يشعر بها وهو ينظر لأوجه الناس ويستجيب للمثيرات اللمسية الجزئية التى يحس بها عندما يلمس أيدى وأذرع وأجسام الكبار، ومن هذا المثيرات والاستجابات البسيطة تبدأ عمليات التمييز الفارق المعقد التى تنظم بعد ذلك إلى مراحل متتابعة للتعلق.

ويعد البحث الذى أجراه شيفر schaffer وأميرسون merson سنة ١٩٦٥ من أهم الأبحاث التجريبية التى تصدر للكشف عن مراحل التعلق ولقد قام الباحثان بدراسة طويلة تتبعا فيها تغيير مظاهر سلوك التعلق للأطفال من الأسابيع الأولى للميلاد إلى ١٨ شهرا، وكانت الأداء التى استخدامها هى قياس استجابة الطفل متدرجة من لا تعلق إلى تعلق حاد بالنسبة لسبعة مواقف انفصال مثل ترك الطفل وحده في الحجرة وكان الباحثان يهتمان بالأعمار التى تحدد التعلق الاجتماعى، وشدة هذا التعلق وموضوعه والمتغيرات التى تتصل بالفروق الفردية وأكدت نتائجها أهمية النمو الإدراكى في تغير مظاهر التعلق خلال مراحله المتتابعة، وأن بعض الأطفال يتعلقون بفرد واحد والبعض الآخر يتعلق بأفراد متعددين.

وقد توصل الباحثان إلى علاقة واضحة بين سرعة استجابات الأم لبكاء الطفل وشدة تعلقه بها وخاصة في سن ١٨ شهرا، وأن التعلق يرتبط ارتباطا موجبا بنوع المبادرة التى تصدر عن الأم في تفاعلها مع الطفل، ومن أغرب ما اكتشفت عن هذه التجربة أن ٣٩ من الحالات كان تعلقها بشخص آخر غير الذى يقوم بالغذاء والعناية بالأطفال، وأن منها لا يرتبط بتحقيق الرغبات المادية البدنية.

وتشير نتائج البحث والدراسات التى قام بها بوبى Boubly ونتائج الأبحاث الأخرى على أن للتعلق أربع مراحل أساسية تتلخص فيما يلى:

١- **المرحلة الأولى** ، وتعد هذه المرحلة مقدمة للتعلق وإرهاصا لها وتتمثل في التوجه العام للآخرين دون أى تمييز فارق، حيث يتفاعل الطفل مع الآخرين دون أن يفرق في تفاعله بين فرد وآخر، ويعتمد الطفل في توجهه نحوهم المثيرات السمعية، وتستمر هذه المرحلة منذ بدء الحياة حتى ما يقرب من نهاية الأسبوع الثانى عشر.

٢- **المرحلة الثانية** : وتتميز بالتوجه نحو شخص بالذات وفى هذه المرة يظل اهتمام الطفل بمن حوله كما كان في المرحلة الأولى ولكنه يهتم أكثر بأمه، وتبدأ هذه المرحلة في الأغلب والأعم بعد الأسبوع الثانى عشر، وتستمر هذه المرحلة حتى نهاية الشهر السادس.

٣- **المرحلة الثالثة**: مرحلة الجوار من الأم والتقرب لها والاستعانة بها كقاعدة للتحرك منها والعودة إليها، وبذلك تقوى علاقة الطفل بأمه وتضعف علاقته بالأخرى فيصبح عندما تبعد عنه ويرحب بها عندما تعود إليه، وينظر الطفل إلى الأغراب بمنتهى الحيطة والحرص بل والخوف أحيانا، وغالبا ما تبدأ هذه المرحلة فيما بين الشهر السادس والسابع من عمر الطفل، وقد تتأخر في بعض الحالات إلى نهاية السنة الأولى في حياة الطفل، وغالبا ما تستمر هذه المرحلة خلال السنة الثانية والسنة الثالثة.

٤- **المرحلة الرابعة**: مرحلة تكوين العلاقات الاجتماعية مع الآخرين وتبدأ بنظرة الطفل إلى أمه على أنها كائن مستقل عنه، ثم يفهم بالتدرج لماذا تقبل عليه ولماذا تبعد عنه، وبذلك يدرك بطريقة أو بأخرى ما تسعى إليه أمه وكيف تحقق لنفسها ما ترجوه، أى أنه بمعنى آخر يفهم عن أمه مشاعرها ودوافعها، وبذلك تتحول علاقته بها إلى علاقة الصاحب ومن هذا المنطلق تبدأ علاقات الطفل الاجتماعية مع الآخرين تتخذ وجهتها الصحيحة، وتبدأ هذه المرحلة في الأغلب والأعم في نهاية السنة الثانية وقد تتأخر عند بعض الأطفال إلى نهاية السنة الثالثة.

وإذا نظرنا إلى التعلق من منظور هذه المراحل فإننا نستطيع أن نقرر أن الطفل في المرحلة الأولى لا يسفر عن مظاهر التعلق، ويسفر عن هذا التعلق في المرحلة الثالثة أما عن المرحلة الثانية فهى مزيج من التعلق والانفصال.

- عوامل شدة التعلق:

تواترت نتائج الأبحاث المختلفة على أن من أهم العوامل التى تحدد مدى شدة تعلق الطفل بالأفراد الآخرين ، درجة إحساس الأم بمسئولياتها كما يظهر هذا الإحساس في سرعة تلبياتها لصياح الطفل بحملة والاهتمام به، وطول الزمن الذى يقضيه الكبار مع الطفل ومدى اهتمامهم به، وملامسة جسم الطفل لجسم أمه وخاصة ما يتصل منه ومنها بالرضاعة، ويعد وجه الأم بل وحتى وجودها بالقرب منه من أهم العوامل التى تؤثر في شدة التعلق حتى أن مجرد ظهورها أمام طفلها يهدئ من روعه ويطمئن خاطره، وعندما ينفصل الطفل عن أمه يبكى ويصيح في احتجاج واضح، ثم يتحول سلوكه عندما تطول مدة انفصاله عنها إلى السلبية والانسحاب والتباعد عن الأفراد الآخرين، وتدل الأبحاث التى أجريت على الأطفال الذين فقدوا أمهاتهم أو فصلوا عنهم لأمر ما مثل الطلاق أو الموت أو لأى سبب آخر على أن مثل هؤلاء الأطفال يصابون بالكآبة وتضعف صحتهم وتنهار إلى حد الموت في بعض الحالات.

- طرق قياس التعلق:

يُعد البحث الميدانى أنسب الأبحاث لدراسة التعلق، ويعتمد البحث الميدانى على طريقة الملاحظة.

وقد أعد بولبى Bowlby قائمة تصلح لتسجيل ملاحظات الباحثين وذلك تمهيدا لدراسة أنماط التعلق، وتشمل هذه القائمة على أهم المواقف التى تحدد صور وأشكال السلوك الذى يدل على التعلق.

ومن أهم المواقف الخاصة والعامة التى تصلح للتسجيل فأما المواقف الخاصة فتتلخص فيما يلى:

١- ترحيب الطفل بأمه، وذلك عندما يقرب منها ويحضنها ويتسلق عليها، ويخفى وجهه في حجرها، وينادیها ويحادثها لتكلمه ويلوح لها بيده

ويبتسم.

٢- استجابة الطفل لترحيب أمه به، وتشتمل هذه الاستجابة على كل المظاهر السابقة لسلوك التعلق وذلك علاوة على مرافقة الطفل لأمه في سكناتها وحركاتها.

٣- تجنب الطفل الانفصال عن أمه، وذلك عندما يتبع الطفل أمه ويمسك بها ويصيح ويبكى.

٤- النشاط الاستكشافى وذلك في بحث الطفل عن أمه.

٥- النشاط الهروبى، وذلك عندما يخاف الطفل ويسرع نحو أمه.

ويقترح لولبى أيضا أن تشتمل عملية الملاحظة على المواقف العامة التى تبين سلوك الطفل لوجود الأم وتحركاتها، ولوجود أو لغياب الأفراد الآخرين، ولمدى الفئة بالأشياء المادية المحيطة به وبحالته.

والقائمة التالية تبين مجموعة من المواقف العامة التى تساعد الباحث على دراسة التعلق وهى كالتالى:

١- وجود الأم وتحركاتها
- الأم موجودة
- الأم ترحل.
- الأم غير موجودة.
- الأم تعود.

٢- موقف الطفل من الأفراد الآخرين
- وجود أو غياب الأفراد المألوفين للطفل.
- وجود أو غياب الأفراد غير المألوفين للطفل.

٣- الأشياء المادية المحيطة بالطفل
- مألوفة.

- غريبة إلى حد ما.
- غريبة جدا.

٤- حالة الطفل:

- سليم ، مريض ، متألم
- نشيط أو مرهق
- جائع أو شبعان

وقد استعانت إينزورس Ainsworth بالقائمتين السابقتين في دراسة لأنماط التعلق عند الأطفال الأوغنديين

ويستطيع الباحث أن يستكمل أيضا القائمتين السابقتين وذلك بتسجيل سلوك الأم بما فى ذلك استجاباتها المختلفة لأنماط تعلق الطفل بها، ومتى وكيف تستجيب هى لسلوك الطفل في تعلقه بها، ومتى وكيف تثير هى سلوك التعلق عند الطفل.

ثالثا: عمليات التنشئة الاجتماعية

إن التنشئة الاجتماعية باعتبار أنها تغير يصاحب الفرد خلال مراحل حياته عمليات مختلفة متعددة تؤدى إلى هذا التغير، وباعتبار أنها صفة لفرد في موقف من مواقف حياته حصيلة لتلك العمليات.

ومن أهم العمليات التى توصف بها التنشئة الاجتماعية ما يلى:

أ- التعلم الاجتماعى

يقصر بعض العلماء تعريف التنشئة الاجتماعية على التعلم الاجتماعى وبالرغم من أن التعلم يلعب دورا هاما في التنشئة الاجتماعية إلا أنها أعم من مجرد التعلم لأنها حصيلة عمليات متعددة مختلفة، وقد تكون عملية التعلم الاجتماعى أهم تلك العمليات، لكنها ليست العملية الوحيدة.

ويختلف دور التعلم الاجتماعى في التنشئة الاجتماعية عن مجرد النمو الاجتماعى لأن التعلم نمو موجة لإعداد الطفل لمجتمعه الذى ينتمى إليه ويدل هذا التعلم على ما يكتسبه الطفل من عادات وتقاليد وقيم مجتمعة حتى يصطبغ فهمه وإدراكه للعالم الخارجى المحيط به بإدراك هذا المجتمع، وحتى يفسر خبراته في إطار ذلك الإدراك.

ويختلف دور التعلم الاجتماعى أيضا في التنشئة تبعا لاختلاف مراحل النمو، ويصل تأثير هذا التعلم إلى أقصاه في الطفولة وخاصة والمبكرة والوسطى، ولذا تعتمد خطة توطين المهجرين إلى مجتمعات أخرى، جديدة غير مجتمعاتهم الأصلية على هذا التعلم الاجتماعى في تنشئة أطفال المهجرين وفق عادات وتقاليد المجتمعات الجديدة، وكلما تباعدت أنماط الحياة الاجتماعية في المجتمعات الأصلية عن مجتمعات المهجر زادت تبعا لذلك حدة الصراع بين جيل الآباء والأبناء، لأنه في جوهره صراع بين تنشئتين اجتماعيتين مختلفتين، وأن التعلم عملية مستمرة باستمرار الحياة أمكننا أن نهيئ للكبار أيضا سبل التعلم الاجتماعى المناسب الذى يساعدهم على إعادة تنشئتهم الاجتماعية بالأسلوب الذى يساير نبض المجتمع وأنماط سلوكه السائدة.

ولقد بلغ من أهمية التعلم الاجتماعى أن صاغ بعض العلماء نظرية روتر Retter نظرية أعلنها سنة ١٩٥٤ وتؤكد هذه النظرية ست حاجات يحققها التعلم الاجتماعى وهى:

١- تأكيد المكانة الاجتماعية .
٢- الحماية الناتجة عن التعلق
٣- السيطرة
٤- الاستقلال
٥- الحب والعطف

٦- الراحة البدنية

والتعلم الاجتماعى الذى يحقق هذه الحاجات ينحو بالتنشئة الاجتماعية إلى وجهتها الصحيحة.

وتعد أيضا نظرية الاستقلال الوظيفى لألبورت Allport تاكيد لأهمية الدوافع الاجتماعية وما يصاحبها من تعلم اجتماعى في التنشئة الاجتماعية، ويؤكد الاستقلال الوظيفى نشأة الدوافع الاجتماعية في إطار أى دوافع سابقة تم استقلالها عنها وظيفيا خلال مراحل نمو الفرد، وهكذا تتطور تنشئة الفرد اجتماعيا عن طريق الاستقلال الوظيفى فتكتسب بهذا التطور مظهرها الدينامى، وتكتسب أيضا خصائصها الاجتماعية واحدة تلو الأخرى.

ويؤكد سيوارد Seward أهمية التقمص في التعلم الاجتماعى حيث يتقمص الطفل خلال تنشئته الاجتماعية دور الكبار في سلوكهم الاجتماعى، وتعد عملية التقمص من أهم العمليات التى تعتمد عليها التنشئة الاجتماعية في إكساب الطفل قيمه المختلفة وخاصة قيم والديه، وتصلح فكرة سيوارد في الدراسة المقارنة للتنشئة الاجتماعية في الثقافات المختلفة.

ب - عملية تكوين الأنا والأنا الأعلى

يتكون الجهاز النفسى للفرد من الأنا والأنا الأعلى والأصل في هذا الجهاز هو الإد أو الجزء اللاشعور الذى يولد به الفرد وهو بخصائصه اللاشعورية لا خلقى ولا منطقى ويسعى دائما لتحقيق اللذة، وبه يتميز الفرد كمجرد كائن عضوى عن الشخص كذات اجتماعية.

وعندما يتصل بالإد بالمجتمع تبدأ عملية تكوين الأنا والصيرورة من الفردية إلى الشخصية وبهذه العملية تبدأ أيضا التنشئة الاجتماعية، وبذلك تعد عملية تكوين الأنا من أهم عمليات التنشئة الاجتماعية، والأنا يخضع لمبدأ

اللذة، ولذا فهو منطقى ، وإذ تمكن من تحقيق رغبات الإد فهو يحققها في إطار الواقع الذى يفرضه المجتمع القائم بعاداته وتقاليده وقوانينه.

ويشتق الفرد الأنا الأعلى سماعيا من أوامر الأب ونواهيه، كما تدركها الأنا أى مما يقوله الأب أمرا ناهيا ، مهددا ، راضيا ، مشجعا ، مكافئا ، والأب بذلك ينقل لأولاده سلطة أبيه هو هكذا، فكان الأنا الأعلى هو مظهر استمرار قيم وعادات وتقاليد وطقوس المجتمع إلى الأجيال القادمة وهو بذلك أساس معايير السلوك الاجتماعى.

وبذلك ترتبط التنشئة الاجتماعية في نشأتها وتطورها بعاملين رئيسيين هما عملية تكوين الأنا ، وعملية تكوين الأنا الأعلى ، وبهما يكتسب الفرد عاداته وتقاليده، بل ومعاييره وقيمه أيضا.

جـ- عملية التوافق الاجتماعى

قد يصعب أحيانا الفصل الواضح بين التوافق والتكيف ، ولذا فعلينا قبل أن نبين دور عملية التوافق في التنشئة الاجتماعية أن نفرق بين المصطلحين والتوافق كما تعرفه المعاجم النفسية الإنجليزية والفرنسية أعم من التكيف وقد يكون معناه مقصور على النواحى النفسية والاجتماعية، أما معنى التكيف فيختص بالنواحى الفسيولوجية وبذلك تصبح عملية تغيير الفرد لسلوكه ليتسق مع غيره، وذلك باتباعه للعادات والتقاليد وخضوعه للالتزامات الاجتماعية ، عملية تتوافق ، وتصبح عملية تغيير حدقة العين وذلك باتساعها في الظلام وضيقها في الضوء الشديد عملية تكيف وهكذا ندرك دور عملية التوافق الاجتماعى في التنشئة الاجتماعية وعملية التوافق الاجتماعى لا تقتصر فقط على الطفل بل تمتد لحياة الراشد وخاصة عندما يواجه بيئة اجتماعية جديدة، وعندئذ تبدأ عملية التوافق مع تلك البيئة.

ولذا فإنه بالرغم من أن أغلب أبحاث التنشئة الاجتماعية تتمركز حول تنشئة الطفل ونموه الاجتماعى إلا أن التنشئة الاجتماعية في معناها العام ليست مقصورة على ما يحدث للطفل وهو يتحول من فرد إلى شخص بل أنها لتمتد لتشتمل على كل ما يحدث لأى فرد عندما يتوافق بسلوكه مع معايير الجماعة التى ينضم لها ولأسلوب حياتها، وهذا ما يحدث مثلا للمدنى عندما يجند، وللفرد عندما ينتقل خلال مراحل حياته من بيئة لأخرى، ومن عمل لعمل آخر، ومن مستوى اجتماعى لمستوى آخر، وبذلك تؤكد عملية التوافق استمرار عملية التنشئة الاجتماعية خلال مراحل الحياة.

د- عملية التثقيف أو الانتقال الثقافى

عندما تعمل التنشئة الاجتماعية على تحويل الفرد ككائن بيولوجى إلى الشخص ككائن اجتماعى، فإنها في نفس الوقت تنقل ثقافة جيل إلى الجيل الذى يليه ويعقبه، وذلك عن طريق الأسرة والمؤسسات الاجتماعية الأخرى، وبما أن هذه الثقافة تميز مجتمعنا عن مجتمع آخر، إذن فالتنشئة الاجتماعية من أهم الوسائل التى يحافظ بها المجتمع على خصائصه وعلى استمرار هذه الخصائص عبر الأجيال.

ولذا ففشل التنشئة الاجتماعية بالنسبة للفرد قد لا يؤدى إلى مثل خطورة فشلها بالنسبة للمجتمع، لأنها عندما لا تحقق وظيفتها الثقافية فإن هذا قد يعنى إنتهاء المجتمع القائم وتحوله إلى مجتمع آخر، ومثل ذلك تحول المجتمع المصرى المعاصر بثقافته عن ثقافة المجتمع الفرعونى القديم، أى أن المظاهر الثقافية التى يعتمد عليها المجتمع المصرى المعاصر في حفاظه على ذاتيته ليست هى نفس المظاهر الثقافية التى عاش بها المجتمع المصرى الفرعونى القديم.

وهكذا تغيرت التنشئة الاجتماعية للطفل المصرى عبر الأجيال المتعاقبة نتيجة لتغير المتطلبات الثقافية للمجتمع القائم، ونعنى بالمتطلبات الثقافية، اللغة

والدين والخلق والعادات والتقاليد، وكل ما يميز مجتمعنا عن مجتمع آخر في بيئتين مختلفتين، أو ما يميز المجتمع عن نفسه في عصور متباينة متباعدة.

رابعا: إشكاليات التنشئة الاجتماعية

تتمثل إشكاليات التنشئة الاجتماعية في الصغار في المرحلة السابقة للتعليم الابتدائي فيما يلي:

١- إشكالية تدني مستوى تعليم المرأة

وهي القائمة بالدور الأساسي في التربية وخاصة في السنوات الأولى من عمر الطفل إن يبلغ عدد الأميين من بين البالغين العرب حوالي ٦٥ مليونا، ثلثهم من النساء وانخفاض تعليم المرأة مرتبطا باستخدامها لأساليب تنشئة تعتمد على التسلط والعقاب البدني والتخويف وتؤدي في الغالب إلى نشوء مظاهر نمو تكبح التفكير واكتساب المعرفة.

٢- إشكالية انتشار الفقر في البلدان العربية

إن يوجد مواطن لكل خمسة مواطنين عرب يعيش على أقل من دولارين أمريكيين في اليوم وهذا يعتبر من أقل مستويات الفقر المادي في العالم، والفقر المادي يتبعه عادة انحسار في فرص التعليم والبيئة السكنية والاجتماعية المناسبة لاستخدام أساليب التنشئة الاجتماعية.

٣- إشكالية الحجم الكبير للأسرة العربية

إذ تبلغ نسبة الأطفال الذين يقل عمرهم عن ١٥ سنة ، ٣٨٪ من عدد السكان في العالم العربي، بالإضافة إلى أن معدل الخصوبة ما زال مرتفعا ٣.٥٪ في عام ١٩٩٨ مقارنة بمتوسط الخصوبة العالمي ٢.٧٪ والحجم الكبير للأسرة كما تشير الدراسات يقف عائقا أمام تفاعل الأسرة وتواصلها واستخدامها لأساليب تيسر الحوار والتفكير وتوفير الفرص للاكتشاف والتعليم.

٤- إشكالية تدني نسبة عدد الأطفال العرب الذين يحصلون على تعليم ما قبل الابتدائي

إذ لا تزيد النسبة على ٤٪ في مقابل ٤٧٪ في البلدان النامية في عام ١٩٩٥، وتزداد الفجوة اتساعا إذا ما قورنت بالدول المتقدمة التي جعلت تعليم الفئة العمرية ٥- ٦ سنوات، فنسبة التحاقهم تصل ما بين ٧٥- ٨٥٪ في كل من المانيا والدنمارك وفنلندا والسويد، وترتفع إلى ٩٥ ٪ في كل من بلجيكا وفرنسا وإيطاليا، وهذه النسبة المنخفضة لالتحاق الأطفال العرب في التعليم ما قبل الابتدائي تشير إلى حرمان غالبيتهم من فرص اكتساب المعرفة قد يكون لها دور في تعويض النقص الذي يعاني منه الطفل العربي في بيئته الأسرية المفتقدة في الغالب، إلى أساليب التنشئة التي تنمي القدرات وتشحذها للتفكير والتعلم بالإضافة إلى ما يشكله هذا الحرمان من تعميق الهوة وعدم المساواة وقت الدخول إلى المدرسة بين القلة الذين حصلوا على تعليم مبكر والأطفال الذين حرموا منه.

٥- إشكالية المنهج المقدم في التعليم ما قبل الابتدائي

بالرغم من الجهود المبذولة والتجارب الناجمة لتطوير التعليم ما قبل الابتدائي في بعض الدول العربية الأردن – تونس وبعض دول الخليج العربي فإن معظم الروضات في العالم العربي ما زالت وبإلحاح من الأهالي تركز على تعليم القراءة والكتابة دون الاهتمام بالنمو المتكامل للطفل، والذي يتم من خلال توفير المواد والأدوات التعليمية المناسبة والمعلمة المدربة المتمكنة والبيئة التربوية التي تسهم جميعها في تنمية حواس الطفل وتطوير قدراته الجسمانية، والعاطفية والاجتماعية والفكرية.

٦- إشكالية ندرة بل ربما غياب برامج التدخل المبكر في معظم الدول العربية الموجهة لتثقيف وتوعية الأسرة خاصة الأم بهدف تمكينها من القيام بدور فعال في تنشئة الأطفال والتواصل معهم بأساليب تنمي كفائتهم الاجتماعية والعاطفية والفكرية.